فيمن الداء ؟

فى الشيوخ أم فى الشباب !

للأستاذ عريان سعد

من أسهل الأمور أن يصف الإنسان الداء . فالطبيب يسمع تاريخ المريض و يتحسس مواطن الألم فى أعضائه فما عليه بعد أن يتجمع من الأعراض التى يسببها داء بعينه الا أن يقطع بأن ذلك الداء هو الذى يشكو المريض وطأته . وقد يخطىء الطبيب الحاذق فى وصف الداء لأنه اختلط عليه عرض داء آخر، وقد تتشابه الأعراض ولكن ذلك الخطأ رغم وجوده قليل بجانب أخطاء وصف العلاج .

ذلك أن الداء إن لم تستأصل شأفة الأسباب التى سببته استعصى شفاؤه .

وكم من مريض يشكو الصداع مثلا فلا يزال يستشير طبيبا بعد طبيب وكل منهم يصف له علاجا لا يلبث أن تظهر قلة فائدته ، حتى إذا كشف طبيب موفق عن أسباب الصداع فنصح المريض بما يزيلها نال الشفاء وأنقذ من المرض .

معرفة الداء إذن سهلة لأن أعراضه ظاهرة وآلامه تدل عليه ، ولكن العسير الجوهرى هو أن يعرف الطبيب أسباب ذلك المرض فيقضى عليها .

قدمت هذا لا لأنى أريد أن أتطبب وأدعى العلم بالأمراض وأسبابها ، ولكننى ضربت المثل بالمرض الجسمى لأنتقل إلى أمراض الاجتماع فأتخير مرضا أزمن وكثر معالجوه وتعددت (الوصفات) لعلاجه .

تهافت الشباب على وظائف الحكومة مرض لا أعلم أن كاتبا لم يكتب فيه ، ولا أعلم أن اقتصاديا لم يحاضر عنه ، ولا أعلم أن عالما من علماء النفس لم يرسل فيه بحثا .

أحسن الجميع من غير شك وصف هذا الداء فصوره الكتاب صورة رسمت لنا الشباب مقعدا والميزانية أعمى يحمله فينوء بحمله وكلاهما شقى بصاحبه متبرم به ، الشاب لا يجد فى ميدان الوظيفة ميدانا لإظهار قوته وبطولة شبابه وعلمه والميزانية لا تتسع للشباب المتعلم فلا تزال بالدرجة فتخيلها مسخا لما كانت عليه من قبل ، ولا تزال تقسم العمل أقساما صغيرة لتضع فى كل قسم واحدا من الكثيرين الذين يتهافتون عليه ، حتى أصبحت الوظائف كما نرى صغيرة المرتب ضئيلة القدر محدودة الأفق . كان ذلك كله لكى تتسع الوظائف لأكبر عدد ممكن من

الشبان المتعلمين لتخف حدة التعطل فى الظاهر لأن الحقيقة أن أولئك المتعلمين المحشودين فى الوظائف هم عاطلون وما يتناولون من مرتبات إنما هى أرزاق تجرى عليهم يقابلها مرتب التعطل الذى يقترحه "بيفردج" فى مشروعه، إلا أنه هنا مقنع بنقاب الوظيفة وهو هناك سافر. هو هنا دائم وهناك موقوت، لأنه هنا يبدو مرتبا لعمل محترم لا يأنف صاحبه من أن يعيش عليه وهناك إعانة تتقزز منها النفس الأبية فلا ترضى بها إلا على مضض ولا تهدأ حتى تجد عملا يغنيها عنه وعن مذلة العيش عالة على المجتمع.

هذه الصورة رسمها لنا الكتاب ولونها كل منهم بالألوان التى تتفق ومزاجه وذوقه، ولكنها صورة واحدة الروح و إن تعددت أوجهها: هى أولا وأخيرا تهافت الشباب المتعلمين على وظائف الحكومة.

ووصف علماء الاقتصاد هذه الحالة ورسموها بألوان علم الاقتصاد فقالوا إن رضاء الشباب بتافه الأجر فى الحكومة هو مظهر من مظاهر العرض والطلب ونصحوا الشباب بالإقلاع عن عرض نفسه على وظائف الحكومة كما نصحوه أن يقتحم أبواب البنوك والشركات وأن ينزل إلى العمل الحر.

وقال علماء النفس بل إن الشباب تنقصه الجرأة وتعوزه روح المغامرة.

هذا كله قيل وصفا للمرض ووصفا للدواء، ولكن الشباب لا يزال متعطلا والاقبال على وظائف الحكومة زحاما، يزحم الشباب بعضه بعضا حتى ليلجأ كل منهم إلى تكأة ترفعه على أترابه وتقربه من الوظيفة تلك التكأة رأيناها وشكونا من شرها وضررها وقد اشتهرت بالمحسوبية والمحاباة.

رغم مجهود الكتاب ورجال الاقتصاد وعلماء النفس لا يزال المرض على حدته.

أما أنهم أحسنوا وصف أعراضه فما لا شك فيه، وأما أنهم وصفوا له علاجا فهذا ما لا أعترف به، ولا أدل على أن ما وصفوه ليس علاجا من أن الداء لا يزال موجودا بل إنه يزداد على مر الأيام حدة وخطرا.

لقد وصفوا علاجات متعددة ولكن لو أن أحدها أو بعضها كان علاجا حقيقيا لشفى المجتمع من ذلك الداء.

كان كل علاج منصبا على عرض من أعراض الداء لا على سبب من أسباب وجوده و إخفاء أعراض الداء لا تعنى الشفاء منه و إن اختفى ذلك العرض زبدأ المريض كأنه قد شفى منه.

قد يكون المرض وأعراضه ناشئا عن شيء لا صلة له في الظاهر بذلك المرض وأعراضه، كالمصاب بالصداع لامساك مزمن مثلا أو لمن يضطرب قلبه لأن الصديد يتسرب من أسنانه أو جيب في أنفه إلى الدورة الدموية .

نحن نسمع الشكوى من تهافت الشباب على وظائف الحكومة ونسمع وصف الشبان بفقد روح الاقدام والمغامرة واقتحام ميدان العمل الحر .

قد يكون في بعض أنواع الصناعة مما لا يحتاج إلى دعوس أموال كبيرة ما يغرينا بالشباب. تتهمه بأنه يترك تلك الصناعات و يفضل عليها وظائف الحكومة .

ولكن المرض في الواقع و إن ظهرت أعراضه في الشباب وتهافته على وظائف الحكومة فاهتم الكتاب ورجال الاقتصاد وعلماء النفس بعلاج الشباب من مرضهم هذا ، الواقع أن المرض ليس في الشباب مثله مثل الصداع يظهر في الرأس وسببه في الأمعاء مما يسبب الامساك.

المرض في الشيوخ أصحاب المال .

لو أن تلك الأموال المكدسة في البنوك ينظر أصحابها عمارة يشترونها أو عزبة يضيفونها إلى عزبهم ، لو أن تلك الأموال برز بها أصحابها إلى ميدان المشروعات الاقتصادية الصناعية أو التجارية فانشئت الشركات لاستغلال موارد البلاد وأنشئت البنوك تشد أزر بنك مصر في أداء رسالته بدل وحدته بين البنوك المتعددة الجنسيات .

ولو أن تلك الأموال برزت إلى الصناعة كما برزت شركة مصر للنسيج وشركة كفر الدوار .

إذن لابتلعت تلك الشركات وتلك البنوك أولئك الشبان الذين نحاول أن نصرفهم عن وظائف الحكومة فلا ينصرفون ، لأن ذلك الباب وحده هو باب المستقبل أمامهم وهم معذورون إذا تزاحموا أمامه .

لو أن الشيوخ الذين أغنتهم الأيام أسسوا بأموالهم الشركات المختلفة التي يؤلفها في الخارج أمثالهم من الأغنياء ثم يفتحون لها في مصر فروعا تدر عليهم الكسب والثراء وتفتح أبواب المستقبل أمام شبانهم الذين ننظر إليهم بيننا ونحن نتحسر على حالنا لأن الحياة تدب فيهم بينما يأكل الصدأ شبابنا في أقبية الوظائف الحكومية وكهوفها .

لو أن شيوخنا الذين أغنتهم الأيام أسسوا الشركات كزملائهم في الغرب لكان شبابنا أسرع إلى العمل لهم في شركاتهم منه إلى وظائف الحكومة .

ولكن شيوخنا مرضى بالعقار لا يعرفون من سائل استثمار المال إلا بيتا يؤجرونه أو حقلا يزرعونه أو يزرعه لهم الناس بالايجار أو بالحصة في المحصول أما الأعمال التي تؤلفه الشركات لها فلا يؤمنون بها ولا يرضون عنها .

موارد ثروتنا نائمة سواء كانت مالا فى البنوك أو موارد من موارد الطبيعة أو علما فى رءوس الشباب أو سواعد ممتولة فى أجسام الرجال ، مواردنا هذه كلها كامنة نائمة لو أوقظت لارتفع مستوى الحياة بسرعة هذا المستوى الذى نبكيه كل يوم ونرثيه ونطالب برفعه فيذهب بكاؤنا ورثاؤنا هباء شأن البكاء والرثاء .

هذه الموارد كلها لو خرجت رءوس الأموال من تفكير أصحابها الراكد الساكن الى دولاب الحياة الدائر الدائب لأصبحت كلها ثمرة زاهرة وأول مورد فيها كضوء الشمس هو شبابنا المتعلم المتعطل لا لتقصيره ولا لقصوره ، ولكن لأن أبواب العمل مقفلة بل غير موجودة لا يستطيع الشباب أن يوجدها ولكن أن أوجدها من يستطيع وهم الشيوخ الأثرياء و بلها الشباب فى حماسته وقوته وأتى فيها بالمعجزات .

لقد بدأ بعض شيوخنا الأثرياء يستيقظون و يؤلفون الشركات ، ولكن أولئك قلة لا تغنى مشروعاتها فى علاج مشكلتنا ، لأنها مشكلة ضخمة تحتاج الى مجهود كل شيخ لا الى هذه القلة التى تجهد لما ماشرعت فيه .

عريان يوسف سعد

العزة وقوة العزيمة

قال محمد بن الحنفية : ما كرمت على عبد نفسه إلا هانت عليه الدنيا .

وقال شاعر :

الحر حر عزيز النفس حيث ثوى كالشمس فى أى برج ذات أنوار

وقال آخر :

حلفت لأن ألقى الشدائد كلها ومالى بأن ألقى الهوان يدان
تذكرت أنى هالك وابن هالك فهانت على الأرض والثقلان
فدع كل شىء خالف العزم إنه سيكفيكه جدان ، معتلجان
وما يدرك الحاجات مثل مثابر ولا عاق عنها النجح مثل توان